الخطاب الفائز بالمركز الأول لعام 2018

التغيير يبدأ الآن وهنا:
إدارة الشأن العامّ مسؤوليّة.. نحن يا أبناء البحرين لها
"... لا بديل ولا مصدر للتطوير الديمقراطي إلا أنتم أبناء هذا البلد وممثليه، فنحن لم نستورد الديمقراطية، ولا بصدد استعارة مظاهرها من الخارج، فقد أردناها منذ البدء نابعة من ذاتنا لأنها عميقة الجذور في كفاح الآباء والأجداد، ولها أساس وطيد في تراثنا".
(من خطاب جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة، ملك مملكة البحرين، بتاريخ أكتوبر 2004م)
المقدمة:

الديمقراطية من سمات الشعوب المتحضرة، وهي الطريق والوسيلة والغاية معًا لمجتمع مدنيّ متطور. وخيرُ مرجع للديمقراطية ومقوماتها في مملكة البحرين توجيهات جلالة الملك، قائد مسيرة النهضة والتطوير؛ فهو الذي أرسى قواعد الديمقراطية ضمن مشروعه الإصلاحي. وإنّه لَتكليفٌ لنا وتشريف حين يعوّل جلالته علينا من أجل انطلاقة قوية ووثبة جبّارة نحو التطوير. وإنّ هذه الديمقراطية الناشئة بملامحها الوطنية البحرينية الأصيلة لَمكسَبٌ نعتزّ به ونفتخر. ولمزيد صقلها وتطويرها، وجب على المواطنين عامة ممارسة حقهم الذي كفله لهم الدستور في إدارة الشأن العام، وعلى الشباب أن يحافظوا على هذه التجربة الفريدة، وأن يحصّنوا أنفسهم من كلّ ما من شأنه أن يشكّك في هذه الديمقراطية البحرينية الآخذة في النماء.

من هذا المنطلق، وبسبب تعلّق همّة أهل البحرين بالعُلا وبالقيادة الرشيدة، مرّت النسخة الجديدة من الانتخابات التشريعية والبلدية كأحسن ما يكون، بل وبمشاركة فعلية قياسية هي الأعلى في تاريخ البحرين (67% بحسب وكالة أنباء البحرين، 2018). كما بات المشكّكون على هامش الحدث؛ فبهذه المشاركة المواطنية غير المسبوقة اجتاز الشعب صيحات التشكيك التي استهدفت العملية الانتخابية في محاولات فاشلة لنشر الإحباط وزعزعة ثقتنا في جدوى الانتخابات وفاعلية المجالس. والواقع أنّه لا الانتخابات كانت هدف هذه الحملة المسعورة ولا المجالس، بقدر ما كانت تستهدف ديمقراطيتنا البحرينية. نعم اجتزناها بفضل رصانة البحرينيين ووعي شبابنا، وسنجتاز كل ما يعرقل مسيرة الإصلاح بتكاتفنا أجمعين -نحن أبناء هذا الوطن الأبيّ- سنظلّ يقظين، نتربص لموجات التشكيك والتضليل المغرضة.

أيها المواطنون المخلصون،

الأصوات الداعية لتَثْبِيطِكُم عن ممارسة حقكم الدستوري في الترشح والانتخاب باختيار من يمثلكم هي أصوات مسعورة وأبواق مأجورة، دوافعها مفضوحة، وحُجَجها مدحوضة؛ فلطالما وصمونا زورًا بأننا -لا سيما في الخليج العربي- شعوبٌ لا تقبل الديمقراطية بسبب تكوينها وثقافتها ومعتقداتها، بل تتجاسر بعض الكتابات وتتهمنا جزافا بأننا لا نرحب بسيادة القانون وحقوق الإنسان والعدالة. ولعلّ الردّ القويّ على مثل هذه المزاعم الباطلة، والسبيل الصحيح لإيقاف هذا السيل العرم من التّشكيك، هو مزيد التفافنا حول قيادتنا ومزيد العمل على تحقيق الإصلاحات السياسية التي هي

سلاحنا لصون مكتسباتنا والاستمرار في مسيرة التنمية والازدهار وتصحيح تلك الصورة النمطية المغلوطة عنّا (النجار، 2017).

إنّ من مؤشرات القوة في الدول استقرار أنظمتها السياسية وسيرورة الديمقراطية فيها على المستويين المحلي والدولي (أبو عمرة، 2014). وأنتم، إذْ تختارون ممارسة حقّكم السياسي، فإنّكم تساهمون في تغيير واقعكم المحلي إلى الأفضل، وتساهمون أيضا في تصدير الصورة المشرقة للديمقراطية في مجتمعنا البحريني العربي الأصيل؛ لذا فجهودكم مقدَّرة عاليًا، ودوركم متواصل. فكونوا مع ممثليكم باستمرار على تواصل، اقترحوا، انتقدوا، وحاسبوا؛ حتى يكون صوتكم مؤثرًا وحاسمًا في صنع غد أفضل لهذا الوطن.

يا قادة الجمعيات والتكتلات السياسية،

التعويل عليكم مضاعف في تأمين نهجنا الديمقراطي؛ فأهدافكم لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن القنوات القانونية، ولطالما كانت أبواب المجالس النيابية والبلدية -ولا تزال- مفتوحة أمام الجميع، وهذه حقيقة أشادت بها الدراسات السياسية العالمية (خلف، 2013). بل حتّى مَنْ حدّثته نفسه أن يقاطع الانتخابات عدل عن رأيه بعد ثبوت عدم جدوى المقاطعة. وانطلاقًا من اطّلاعنا على تجارب عالمية تعدُّ المقاطعة أو العزوف الانتخابي "انتحارًا سياسيًا" للحزب أو الكتلة (Frankel,2010, Gordji et al 2018).

إنّ إعراضكم عن خوض المعركة الانتخابية هو ببساطة تسليم لمصيركم ومصير الوطن إلى جماعات سياسية منافسة لكم قد تحمل خططا مغايرة، فإذا بكم تخسرون مرّتين: تخسرون المشاركة في هذا العرس الديمقراطي، وتخسرون نصيبكم من القرار السياسي الوطنيّ؛ فانسحابكم يحرمكم ممارسة أية ضغوطات، ولن يحقق لكم أيّ مكاسب على المستويين المحلي والدولي (Odershook, 1986, Brams, 1994, McCarty and Meirowitz, 2007). لذا، فإنّ من اختار أن يشارك وينافس هو من يستحق أن يكون قائدًا سياسيًا مؤتمنا على الوطن.

إلى القائمين على حقوق الإنسان،

إلى كلّ مَن يُعنى بحقوق الإنسان، سواء جهات حكومية أو أهلية، أمامكم اليوم مسؤولية مواجهة العنف بشتّى أشكاله، ومن ذلك: "العنف الانتخابي" الذي تمارسه "فئات" على الناخبين بغاية عرقلة العملية الانتخابية، موظفين في ذلك وسائل مختلفة تصل إلى درجة ترهيب الناخبين للتأثير على إرادتهم وثنيهم عن المشاركة في الشأن العام (Fischer and Jeff, 2012, Taylor, 2018). ويكون هذا العنف بتوظيف التحالفات والانتماءات بمختلف أنواعها للضغط على إرادة التابعين لفئة معينة، أو بسلب إرادتهم نهائيًا بإجبارهم على عدم المشاركة جزئيا أو كليّا؛ لذا يجب نشر الوعي للتصدّي إلى هذا العنف الذي يزيد الانقسامات في المجتمع، فتضيع الديمقراطية، وتنتشر الفوضى.

إلى من نجحوا وحملوا ثقة الشّعب،

ليكن لكم -في رؤية صاحب الجلالة- منهج عمل في دوركم الانعقادي هذا، فلقد قال جلالته في فجر انطلاقة مشروعه الإصلاحي: " مضى زمن الفكر الواحد والمذهب الواحد والتفسير الواحد للحقيقة".

(جلالة الملك في حديث إلى الصحافة، 2003)

إنّكم مختلفون، وتحملون أفكارًا متعددة، بل لعلّكم تستمدّون قوّتكم من تعدّدكم. نعم، هذه الحقيقة الوحيدة التي لا يمكن نقضها؛ فنحن في مركب واحد. فلتجعلوا اختلافكم وتحاوركم سبيلا للوصول بالوطن والمواطن إلى شاطئ الأمان.

ليكن الوطن، والناخبون، نصب أعينكم، وإيّاكم أن تنزلقوا في معادلة مشوّهة، مؤشّر نجاح النائب فيها مخالفة كل ما تطرحه الحكومة والتمرّد عليه، ومؤشّر فشله موافقة مقترحات الحكومة. وكأنّه بذلك قد تخلّى عن وعوده الانتخابيّة. لا نريدكم سلبيّين طبعًا، فإنّ لكم ثقلا سياسيا كبيرًا؛ فأنتم سلطة التشريع والرقابة والمحاسبة. لكننا في هذا الوطن لسنا في حلبة صراع تتعالى فيه الأصوات والقلاقل التي تسبب دويًّا إعلاميًا خاويًا، وإنّما العلاقة الصحيّة في تعاون الحكومة مع النواب، (النجار، 2017).

الخاتمة:

الديمقراطية البحرينية أمانة أرسى قواعدها عاهل البلاد المفدى، ورعاها بكلّ حرص صاحب السمو الملكي الأمير خليفة بن سلمان آل خليفة، رئيس الوزراء الموقر، وساهم في بنائها أبناء هذا الوطن بما ورثوه من قيم الحوار واحترام الآخر وتقبل المختلف. فعلى كلّ بحريني وبحرينية أن يضع بصمته ليزيد من رونقها ونجاحها. وأن يَتخطّى الجميعُ، بما أوتوه من حصانة وطنيّة، كلَّ من ينوي الإضرار بوطننا الغالي في محاولات بائسة للنيل من الديمقراطية والانتخابات النيابية والبلدية. ولنا في كلمة مليكنا التي تلامس قلوبنا دروس وعبر حين قال: " إنّ بناء البيت يأخذ وقتا أطول من الهدم، فالهدم أسهل بكثير"

(جلالة الملك في حديث إلى الصحافة،2003)

إنّنا، اليوم، مؤتمنون أكثر من أي وقت مضى على ما أرساه أسلافنا من أسس متينة لمجتمع مدني ديمقراطي منفتح على العالم، مناط بنا مواصلة الرعاية والعطاء والبناء مصداقًا لقول الدكتور محمد جابر الأنصاري:

"لا تأتي الديمقراطية إلى شعب من الشعوب على طبق من ذهب. فلا بدّ من زرعها واستنباتها في البيئة المجتمعية المحلية، ثم رعايتها وتعهدها بالسقي. إلى أن يشتدّ عودها وتصبح شجرة خضراء ويانعة. وعند بلوغ هذه المرحلة لا بدّ من تشذيب وتهذيب وري الشجرة لتبقى ولا تتعرض للذبول". (الأنصاري،2010)

المصادر:

- الخطاب الملكي السامي، الفصل التشريعي الأول، دور الانعقاد الثالث (المنامة)، 2004، ص48.
- جلالة الملك في حديث صريح إلى الصحافة (صحيفة الوسط: المنامة)، 2003
- وكالة أنباء البحرين (المنامة: بنا)، 2018.

http://www.alwasatnews.com/elections/page/852947.html

المراجع العربية:

- "الانتخابات البرلمانية البحرينية، وأثرها في قيام الانتفاضة الشعبية" همسة قحطان خلف (مجلة العلوم السياسية) ،156-148.
- "الديمقراطية العصية في الخليج العربي "باقر سلمان النجار (بيروت: دار الساقي)، 2017.
- "الديموقراطية كالطفل عليك رعايته... فقد يحبو إلى حتفه! " محمد جابر الأنصاري (2010: صحيفة الحياة)
- "أمريكا والدولة الفاشلة" رنا أبو عمرة (القاهرة، دار ميريت)، 2014.

المراجع الأجنبية:

- Electoral conflict and violence: a strategy for conflict and prevention: Fischer, Jeff (Washington DC: IFES), 2012.
- Game theory and political theory: An introduction: Ordeshook, P. C. (Cambridge: Cambridge University Press), 1986.
- Political game theory: an introduction: McCarty, N. and A. Meirowitz (Cambridge: Cambridge University Press), 2007.
- Shared Security, Shared Elections: Taylor, C (Washington: AFCS), 2018.
- Theory of moves : Brams, S. J (Cambridge:Cambridge University Press), 1994.
- Threaten but participate: why election boycotts are a bad idea :Frankel, M. (Foreign Policy at Brookings), 2010.
- Why Is a Boycott of the Elections a Bad Idea?: Gordji, M. E., Askari, G., & Abdi, H, 2018.